الأسطورة نشأتها ومناهجها وسماتها

إعداد

حسن علي أحمد محمود الصعيدي

باحث دكتوراه – كلية الدراسات والبحوث الأسيوية

جامعة الزقازيق – مصر

الأسطورة نشأتها ومناهجها وسماتها

حسن على احمد محمود الصعيدي

قسم الفلسفة والعقيدة، شعبة مقارنة الأديان ، كلية الدراسات والبحوث الأسيوية ، جامعة الزقازيق، جمهورية مصر العربية

البريد الالكتروني: hassanksa889@gmail.com

الملخص

الأساطير والخرافات منتشرة في معظم الأديان الوضعية وامتد تأثيرها في معظم الأديان السماوية الأخرى، والأسطورة ما كان لها أصل ديني، ولها أسباب لنشأتها، فقد تكون أحادية المنشأ أو تعددية المنشأ ولها أنواع ومنها: أساطير التكوين، وأساطير تعليلية، أساطير طقوسية، أساطير رمزية، أساطير طقوسية، ومن سمات الأساطير: التعالي، التكرار، التشابه، اللامنطقية، واقعية الموضوع الأسطوري، ومن مناهج دراسة الأسطورة: المنهج البوهيمري، الطبيعي ، للمجازي، الرمزي ، العقلي التحليل النفسي.

الكلمات الافتتاحية: الأساطير، الخرافة، الرمز .

The Myth: its Origins, Methods, and Characteristics

Hassan Ali Ahmed Mahmoud El-Saeedy

Department of philosophy and Doctrine, Division of Comparative Religions, Institute of Asian Research Studies , Zagazig University, Arab Republic of Egypt

Email: hassanksa889@gmail.com

Abstract:

Myths and legends are widespread in most Human–made religions, and their influence extends to most other heavenly religions. Myths do not have a religious origin, and they have reasons for their origin. They may be monogenic or multiple in origin and have types, including: myths of genesis, explanatory myths, ritual myths, symbolic myths, myths. Ritualistic, and among the characteristics of myths are: transcendence, repetition, similarity, illogicality, and the realism of the mythical subject, and among the methods for studying myth are: the Bohemian, naturalistic, metaphorical, symbolic, and mental approaches.

Keywords: Myths, Legends, Symbol

الأسطورة نشأتها ومناهجها وسماتها

تتشابه معظم الأديان الوضعية تشابها واضحاً خصوصاً في تقديس الطبيعة، وأساطير خلق العالم، بل نجد أساطير الخلق تكاد تكود متطابقة في معظم الأديان الوضعية مع اختلاف بسيط وكأنها خرجت من مشكاة واحدة، وكذلك نجد تشابها في بعض الرموز المشتركة. وفي بعض العقائد، والأخلاق. والأساطير بذلك تشبه الفلكلور الشعبي، وعند الدراسة لا بد أن نفرق بين الوسائل والغايات؛ فالوسائل تُستمد من التشريعات الأخلاقية للمجتمع، أما الغايات فمصدرها الفلسفة الشخصية للأخلاق.

الأسطورة:

يختلف تعريف أي مصطلح حسب وضعه اللغوي أو الاصطلاحي:

الأسطورة في اللغة: قيل الأساطير: الأباطيل والأحاديث العجيبة واحدتها أسطورة.[١] والأساطير: الأباطيل، الواحد أُسْطورَةٌ، بالضم، وإسْطارَةٌ بالكسر، وقيل الْأَسَاطِيرُ فَكَأَنَّهَا أَشْيَاءُ كُتِبَتْ مِنَ الْبَاطِلِ فَصَارَ ذَلِكَ اسْمًا لَهَا، مَخْصُوصًا بِهَا. يُقَالُ سَطَّرَ فُلَانٌ عَلَيْنَا تَسْطِيرًا، إِذَا جَاءَ بِالْأَبَاطِيلِ. وَوَاحِدُ الْأَسَاطِيرِ إِسْطَارٌ وَأُسْطُورَةٌ.

وقال ابن منظور: "واحد الأساطير أُسطورة وأُسطير وأُسطيرة إِلى الْعَشْرَةِ. قَالَ: وَيُقَالُ سَطْرٌ وَيُجْمَعُ إِلى الْعَشْرَةِ أَسْطاراً، ثُمَّ أَساطيرُ جمعُ الجمعِ. وسَطَّرَها: أَلَّفَها. وسَطَّرَ عَلَيْنَا: أَتانا بالأَساطِيرِ. اللَّيْثُ: يُقَالُ سَطَّرَ فلانٌ عَلَيْنَا يُسَطِّرُ إِذا جَاءَ بأَحاديث تُشْبِهُ الْبَاطِلَ. يُقَالُ: هُوَ يُسَطِّرُ مَا لَا أَصل لَهُ أَي يُؤَلِّفُ"[٢] وَمِمَّا شَذَّ عَنِ الْبَابِ الْمُسَيْطِرِ، وَهُوَ الْمُتَعَهِّدُ لِلشَّيْءِ الْمُتَسَلِّطُ عَلَيْهِ.[٣] وقيل الأسطورة: الحديث الذي لا أصل له[٤].

---

(١) المعجم الوجيز(مرجع سابق) ص ٣٣٠. وتاج اللغة: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط ٤/ ١٩٨٧مدار العلم.

(٢) ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ(سطر) ج٤، ص ٣٦٣.

(٣) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج٣ ص ٧٢

(٤) لويس معلوف اليسوعي، المنجد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،١٩٣٥م، ط٢، ص ٣٤٣.

والشيء الملفت للنظر عدم وجود مدلول واضح في المعاجم اللغوية لكلمة أسطورة أو خرافة، وقد استخدم القرآن الكريم لفظ أسطورة فيما لا أصل له[١]. وورد لفظ الأساطير في القرآن الكريم تسع مرات.

الأسطورة من حيث الاصطلاح: اختلف الناس في تعريف ماهية الأسطورة والخرافة كل حسب مشاربه، وثقافته ولكن أجمع الباحثون على أنها حقيقة لا أصل لها، ولهذا يصعب وضع تفسير جامع مانع، الأسطورة في أبسط تعريفاتها:

قصة لا تستهدف إعطاء اللذة لذاتها وإنما هدفها تبسيط التعقيدات التي يعاني منها إنسان ما قبل التاريخ إذ أن عقله لم يتهيأ بعد لإدراكها، ومعظم الأساطير تشتمل على عنصر ديني بشكل او بآخر[٢].

١- قصة منتشرة بين العوام من عالم غير موجود، مجهولة المؤلف، وأبطالها غير حقيقيين[٣]، وقد يكون للأسطورة أساس تبنى عليه، ولكن تم تحويلها لأسطورة لأسباب متعددة تتعلق بإضفاء صبغة تقديسية عليها.

٢- والأسطورة عبارة عن حكاية ذات أحداث عجيبة خارقة للعادة أو وقائع تاريخية قامت الذاكرة الجماعية بتغييرها وتحويلها وتزيينها، وقيل الأساطير: خرافات وأباطيل[٤].

٣- وقيل الأسطورة نتاج التفسير الساذج للشعوب البدائية لظواهر الطبيعة المختلفة، بحيث يضعون لكل ظاهرة إله، وينسجون حوله الأساطير المتعددة. وقيل الأساطير مركب من القصص يمتزج فيها الحقائق بالخيال، وقد تكون مظاهر

---

(١) أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ص٣٠بتصرف.
(٢) س.م. بورا، التجربة اليونانية، ت أحمد سلامة محمد السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٩٨٩م، ص١٦١.
(٣) السيد حنفي عوض، الأنثروبولوجيا مرآة الشعوب، دار الحق للطباعة، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص ٣٣١.
(٤) الزمخشري محمد بن عمر: حقائق التنزيل وعيون التأويل، مكتبة مصر، ج٢، ص٨٦.

لمعاني كثيرة[1]، فهي خيالية قوامها الخوارق والأعاجيب التي لم تقع في التاريخ، ولا يقبلها عقل[2].

٤- قد تكون الأسطورة الحكاية التي تختص بالإله وأفعاله[3]، وكأنها تحدد العلاقة بين البشر والآلهة.

٥- وقيل هي: القصة المقدسة التي كان أصحاب الحضارات السابقة يؤمنون بها على أنها كتبهم المقدسة[4].

وقيل الأسطورة Myth أصلها لاتيني: نص له طابع ديني وهي ترتبط بشخصيات خاصة بالديانات البدائية، كما فعل المصريون مع آلة الشمس ومركب الشمس[5]. ومن تعريفات الأسطورة: قصة تعليلية تفسر الأبطال والمعتقدات وغيرها[6]. وفي القرآن الكريم: { وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا۝٥" الفرقان " وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ۝٣١} (الأنفال : ٣١) .

لقد حاكت جميع الشعوب لنفسها أساطير، والدور الرئيس فيها لأنصاف الآلهة، وأحيانا للآلهة نفسها، فقوتها أعظم من الإنسان وتحمل أساطير أقوى من الإنسان.

وهناك من يخلط بين الأسطورة والخرافة؛ فالخرافة نتيجة للخيال الصرف ولا يوجد لها أدنى مرجعية من الواقع على العكس من الأسطورة التي لها مدلول من الواقع ثم يصوغها الخيال العميق، والخرافة أصلها شائع ثم أخذت شكلاً فنياً لدى

(١) نبيل علي العتوم، عادل علي العبد الله: الأساطير في الكتب المدرسية الإيرانية، مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية، ص٥وص٦.
(٢) أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ص٣٥.
(٣) أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ص٩.
(٤) نبيل علي العتوم، عادل علي العبد الله: الأساطير في الكتب المدرسية الإيرانية، مركز العصر للدراسات. ص٦.
(٥) جورج إدوارد إفري، أسطورة المسيحية بين الحقيقة والخيال، ت: عادل أعد الميري، ط١، عام٢٠١٥م ص١٨٥ بتصرف.
(٦) كارم محمود عبد العزير، أساطير العالم القديم، ط١، عام ٢٠٠٧م، ص ٣٠.

أصحاب القصص الشعبي، وقد يرجع تاريخ الأسطورة إلى [٣٠٠٠] ثلاثة آلاف عام في مصر، لكنها في الهند والصين [٢٠٠٠] ألفي عامٍ، وكتابة الأسطورة باللغة الفصحى بينما تكتب الخرافة باللغة العامية.(١)

والخرافة قد تكون: فنّ قصصيّ خُرافيّ ذو مَغْزًى يُمثِّل الحيوانات كشخصيّات رئيسيّة في القصّة ولكن بصفات إنسانيّة أسطورة أو قصّة قصيرة ذات مغزًى أخلاقيّ غالبًا ما يكون أشخاصها وحوشًا أو جمادات، ومن القصص الخيالية –في العربية على سبيل المثال– (كليلة ودمنة، ألف ليلة وليلة).

والأساطير الدينية تؤثر في وجدان الشعوب، بينما الخرافات لا علاقة لها بالماضي أو الحاضر على السواء، وكتاب "وهب بن منبه" المسمى "عرائس المجالس" يحفل بكثير من الخرافات والأساطير الدينية.

الأسطورة لا تُكَذب ولا يُحَط من قدرها، والخرافات ترتبط بالحكايات الشعبية.

ويرتبط بالأساطير ارتباطا وثيقاً مصطلحان: الخرافة والرمز فنعرض لهما.

الخرافة:

يختلف المعنى المقصود بالخرافة حسب: ثقافة المتكلم وطبيعة الموضوع، وكذلك المعنى اللغوي والاصطلاحي لها:

ففي اللغة: مادة خرف: الخَرَفُ، بِالتَّحْرِيكِ: فَسادُ العَقْلِ مِنَ الكِبَرِ "شيخ خَرِف". وَقَدْ خَرِفَ الرجُل، بِالْكَسْرِ، يَخْرَفُ خَرَفاً، فَهُوَ خَرِفٌ: فَسَدَ عَقْلُه مِنَ الكِبَرِ، والأُنثى خَرِفةٌ، وأَخْرَفَه الهَرَمُ، وقيل (خَرِفَ، خَرُفَ، خَرفا)(٢) .

• خرُف المتكلِّمُ: أتى بكلام ينكره العقل، فقد ترابط فكره أو تعبيره، أو: كلام وهميّ غير منطقيّ.

---

(١) أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص١٦.

(٢) الأب لويس معلوف اليسوعي، المنجد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١٩٣٥م، ص ٣٤٣. وكذلك لسان العرب، ابن منظور، بيروت، ط٣ عام١٤١٤هـ، ص ج٩، ص٦٢.

الخرافة في الاصطلاح:

تختلف تعريفات الخرافة تبعا لثقافة ومشارب كل من يتناولها بالدراسة وكذلك خلفيته الدينية والثقافية، فذهب بعضهم إلى أنها: - حديث باطل لا يمكن تصديقه "وقيل (الخرافة): الْحَدِيث المستملح المكذوب، يُقال هذا حديث خرافة.[١] وَالْخَرَفُ: فَسَادُ الْعَقْلِ مِنَ الْكِبَرِ[٢]، والخرافة لم ترد في القرآن، وقد ذكرها " ديك الجن[٣] " في قوله:

أأترك لذة الصبهاء عمداً لما وعدوه من لبن وخمر

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو

وقيل الخرافة Legend قصة خيالية لكنها لا تتعلق بأحد الأرباب بل بشخص تاريخي في زمن محدد[٤]، فهي في مجملها حكاية شعبية مليئة بالمبالغات وتحتوي على خوارق ولكن يميزها أن أبطالها من البشر، كما في حكايات ألف ليلة وليلة وكما في حكايات السيرة الهلالية وغيرها. وقد تنتشر الخرافة من ربط المسببات بغير أسبابها، كالخرافات التي تحدث على سبيل المثال عند خسوف القمر فيعتقد عدد كبير من الناس أن بنات الحور يردن الزواج منه وهو يرفض فيقمن بخنقه ولهذا يجب على الفلاحين الضرب الأواني وغناء موقع حتى يتركنه بنات الحور. والخرافات ترتبط بالديانات البدائية ثم تتحول إلى سر من الأسرار المقدسة.[٥] كما تروى –على سبيل المثال لا الحصر– خرافة "سر التناولCommunion" من جسد المسيح، بل قد يظن بعض البشر أن ما مُنع عنه يًباح لقوى أكبر منه، كالكهنة

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز ط ١٩٩٥م/١٤١٦هـ، ص١٩٢، مادة خَرف
(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ، ت : عبد السلام هارون ، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٢ ص ١٧١.٢
(٣) عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي، المعروف بديك الجن. شاعر مجيد، فيه مجون، من شعراء العصر العباسي. سمي بديك الجن لان عينيه كانتا خضراوين.
(٤) جورج إدوارد، أسطورة المسيحية بين الحقيقة والخيال، ص ١٨٦بتصرف
(٥) أسطورة المسيحية ص ١٠.

والسحرة، بل قد يصل المر للتضحية بالحيوان المقدس أو استحلال بعض المحرمات "تحت راية التهتك المقدس"(١).

الرَّمْــز

لقد خاف الإنسان بعض الطبيعة وقدس بعضها الآخر فعبدها وجعلها رموزاً فقدم لها النذور والأضاحي، بل توصل لعبادة الأقوياء من الملوك والأباطرة.

رمز: الرَّمْزُ: تَصْوِيتٌ خَفِيٌّ بِاللِّسَانِ كالهَمْس، ويَكُونُ تحريكَ الشَّفَتَيْنِ بِكَلَامٍ غَيْرِ مَفْهُومٍ بِاللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ إِبانة بصَوْتٍ إنما هُوَ إِشارة بِالشَّفَتَيْنِ، وَقِيلَ: الرَّمْزُ إِشارة وإِيماء بِالْعَيْنَيْنِ وَالْحَاجِبَيْنِ وَالشَّفَتَيْنِ وَالْفَمِ. والرَّمْزُ فِي اللُّغَةِ كُلُّ مَا أَشرت إِليه مِمَّا يُبانُ بِلَفْظٍ بأَي شيءٍ أَشرت إِليه بِيَدٍ أَو بِعَيْنٍ، ورَمَزَ يَرْمُزُ ويَرْمِزُ رَمْزاً. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ فِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ: { أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً }

رمز: قَالَ الله جلَّ وعزّ فِي قصّة زَكَرِيَّا:{ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا } (آل عمران: ٤١).

وقيل: معنى الرَّمْز: تحريكُ الشَّفَتين باللَّفْظِ من غير إبانة بصَوْت، إِنَّمَا هُوَ إِشَارَة بالشَّفَتَين. وَقد قيل: إِن الرَّمْز إشارةٌ بالعَيْنين والحاجبَيْن والفَم[٢]، وقيل الرمز إشارة بيد أو برأس(٣).

والرَّمْزُ فِي اللّغة: كلُّ مَا أَشرْتَ إِلَيْهِ مِمَّا يُبان بِلَفْظ بأيّ شَيْء أشرتَ إِلَيْهِ بيَدٍ أَو بعَيْن.

– الرَّمْزُ والترمُّز فِي اللّغة: الحَرَكة والتحرُّك(٤) وقيل الرَمْزُ: الإشارةُ والإيماءُ بالشفَتين والحاجب(تاج اللغة) [رَمَزَ]: الرمز: الإشارة بالعينين والحاجبين والشفتين(٥)(شمس العلوم) .

---

(١) أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص٤١.
(٢) محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، دار صادر عام ١٤١٤م ط ٣
(٣) الزمخشري محمد بن عمر: حقائق التنزيل وعيون التأويل، مكتبة مصر، ج١، ص٣١٨.
(٤) تهذيب اللغة ج ١٣ ص ١٤١/ محمد بن أحمد الأزهري ت محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث ط ١ عام ٢٠٠١م
(٥) أبو البقاء: مرجع سابق ص ٦٧٢. { وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝ }.

كيف نشأت الأساطير؟

يُرجِع بعض علماء الأديان نشأة الأسطورة إلى أسباب غامضة زادتها غموضاً، وهناك ارتباط وثيق الصلة بين ظهور الأسطورة والرمز؛ فقد يكون أحدهما سببا في ظهور الآخر، بل هناك من يزعم أن الأسطورة أحد الأشكال الأساسية للرمز[١]، ومن الأفضل في دراسة الأساطير أن تستمر وتبقى بدون العقلية العلمية، فعدم منطقيتها هو من صنع سر خلودها. وهناك اتجاهات متعددة في نشأة الأسطورة وكل يذهب حسب مشاربه واتجاهه الفكري، والأسطورة نتاج التفسير الساذج للشعوب البدائية[٢].

وهناك تساؤل في الأسطورة من المعروف بداهة أن أي حدث له بداية لا يحتاج لأن نضع سؤالاً: ماذا كان قبل ذاك الحدث؟ وكذلك تنتهي نهاية منطقية بحيث لا نجد سؤالاً: تُرى ماذا سيحدث بعد ذاك؟ ففي الأساطير يُثار سؤال ماذا قبله، وماذا بعده؟ وهذا يدفعنا للقول بأن بعض آلهة الديانات الوضعية كانت بشراً وليست آلهة وإلا فالسؤال ماذا قبل، وماذا سيحدث بعد .... إلخ.

١- فمنهم من يرى أن الأسطورة نشأت مرة واحدة وهو ما يُسمى "أحادية الأصلMonogenesis"، فالأسطورة كانت في طورها الأول جزء من طقوس العبادة.[٣]

٢- تنشأ على مراحل وهو ما يسمى مبدأ تعددية الأصلPolygenesis"[٤].

٣- **أسباب طبيعية:** بأن يكون أصل الأسطورة كوني[٥] وبمقتضاها تشخص ظواهر الطبيعة والكون كالشمس والقمر ....إلخ، وهناك رأي يميل إلى أن منشأ

(١) كارم محمود عبد العزيز، أساطير العالم القديم، ط ١، مكتبة النافذة، ٢٠٠٧م، ص ٢٤.
(٢) نبيل علي العتوم، عادل علي العبد الله: الأساطير في الكتب المدرسية الإيرانية، مركز العصر للدراسات. ص٦.
(٣) أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص٧.
(٤) كارم محمود عبد العزيز، أساطير العالم القديم، ط ١، مكتبة النافذة، ٢٠٠٧م، ص ٣٢وص٣٣ بتصرف شديد.
(٥) أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص٤٨.

الأسطورة من المخيلة وحدها وهو ما يُسمى الأسطورة النقية، والأساطير غير النقية، هي التي تجمع بين الحقيقة والخيال[(١)].

٤- **أساس شبه ديني:** هناك أراء تدعم كون الأسطورة في طورها الأول جزءا من طقوس العبادة، أو من الفهم غير الواضح لحقيقة الإيمان، فأصحاب نوح -عليه السلام- كانوا صالحين "كود، سواع، يغوث، يعوق، نسر" ولما اتطاول الزمن وبعد جعلهم الأتباع آلهة؛ فعُبدت على أنها رموز لآلهة قديمة، وأحياناً تستمر الأسطورة فتتحول إلى واقع معيش يحياه الناس، فقد يلجأ الناس لتفسير ظاهرة أو عادة ما إلى فعل مستمر وأساس ديني ليضفي عليه نوعاً من الشرعية.

٥- **أساس رمزي:** يميل أصحاب هذا الرأي للقول: إن الأساطير في جميع مجالاتها مجرد مجاز، فمثلاً "كورنوس" اليوناني هو الزمن الذي يأكل أولاده[(٢)].

٦- **أساس تاريخي:** فشخصيات الأساطير حقيقية، حققوا بطولات، لكن أضاف الناس لها من الخيال ما جعلها أسطورة، فما المانع أن يكون أصل الأسطورة حقيقي، وفي سير الأبطال مثل سيف بن ذي يزن وعنترة بن شداد، وأبو زيد الهلالي مع التحفظ على الزيادات التي تبعتهم.

والملاحظة التي قد يخلص لها الإنسان أن للأسطورة في المنشأ نوعان: أفعال سكت عنها التاريخ أو كلام ليس له أحداث فبدأت الأسطورة تصنع للأفعال أحداثاً وللكلام حكايات، وزاد كل من يأتي عبر التاريخ حكايات وأحداثاً حتى وصلت لصورتها الحالية. وتأثر كثير من الناس بالأساطير على الرغم من انفصالها عن عالمنا الحالي بكل ما تعنيه الكلمة، وكما أسلفنا فإن منطقها الوحيد هو اللامنطق، وهناك من يذهب إلى أساس الأسطورة أنها عصر العلم والسحر.

ولكن لماذا تنتشر الأساطير؟ وتأخذ الطابع المقدس، ولماذا يشجع بعض الناس الأساطير ويعملون على انتشارها؟ هذه أسئلة تحتاج لأجوبة، فقد ترسخ الأسطورة

(١) إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولي ط١، عام بدون، ص ١٧. بتصرف.
(٢) أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص١٠.

لعادة اجتماعية أو تأصل لوضع قائم له مكانته، يحاول بعض رجال الدين أو الحكام ترسيخه والاستفادة من استمرار الوضع.

وقد تكون الأساطير في الديانات البدائية محاولات لحل مشكلات علمية مستعصية على الفهم –في عصرهم– ولم يتمكنوا من التوصل لحل لها، وأطلق عليها Metaphysical. ولقد عبرت الأسطورة عن حيرة الإنسان أمام عالم ما وراء الطبيعة، وذلك حينما لم يسمح له مستواه الفكري بالوصول إلى أكبر من ذلك. وتنتقل الأسطورة من جيل إلى جيل بالرواية الشفاهية.[١]

الأسطورة تصف ما يعجز الإنسان عن وصفه، فهي قد تنشأ من فقدان الاتصال مع الأجيال التي أسست الأسطورة ثم أصبحت الحاجة ملحة لتفسير الظاهرة فتحولت لأسطورة. وهي تفتقر للمنطق؛ فكل شيء محتمل الوقوع في الأسطورة[٢].

وحين يحاول بعض الأشخاص الحديث عن الأسطورة تجده قد يلجأ إلى التعابير العامة مما يفقدها الدقة والتشخيص، وبعضهم يتأثر بجانب واحد منها، فتبدو وكأنها تعريفات قاصرة، وطريقة حفظ الأساطير قوة ذاكرة الشعب فهم يتوارثونها جيل بعد جيل، وهي تحدثنا عن تاريخ الشعوب، ومكانة صاحب الأسطورة في مجتمعه.

وهناك أقسام وخصائص للأسطورة وكذلك سمات خاصة بها.

أنواع الأساطير: ترتبط دائما ببداية الخلق وكيف وُجِدت الآلهة وللأساطير أنواع متعددة منها:

الأساطير الطقوسية: وهي تمثل الجانب الكلامي لطقوس الأفعال، وترتبط في الأساس بالعبادة قبل أن يتحدد شكل وملمح هذه العبادة.[٣]

(١) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، حسن نعمة، دار الفكر، عام ١٩٩٤م، ص ٢٥.
(٢) كارم محمود عبد العزيز، أساطير العالم القديم، ط ١، مكتبة النافذة، ٢٠٠٧م، ص ١٧.
(٣) أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص٤.

أساطير التكوين (خلق الكون): قد يساوي بعض الناس بين المصطلحات فمثلاً مصطلح نشأة الكون Cosmsgony قد يتساوى مع مصطلح الخلقCreation وفي الأديان الوضعية نجد الأساطير تلعب دوراً مهما في بداية الخلق حتى للآلهة نفسها.

الأساطير التعليلية: يحاول الإنسان البدائي أن يعلل هذه الظاهرة ولا يجد لها تفسيراً، ولذلك تختص الأساطير التعليلية بخلق الكون، وتجيب عن أسئلة بشأن الكون وكيف تم خلقه، كيف وُجِدت الآلهة، ما طبيعة الماء والنار، ومن أين أتيا؟ وفي الأساس تعتمد أن خلف المرئي قوى خفية كبرى تتحكم به، وقد تنجح الأساطير في تقديم صور مرآوية لما يقع في الخيال لا دنيا الواقع، فالأساطير قد تظهر وكأنها علة أو معلولاً لحادثة ما، وذلك بسبب كثرة التفصيلات التي تكتنف المواقف، وكأن مصير الإنسان نتيجة لأزمة عن شخصية الإنسان وطرائق سلوكه، وقد تكون الأسطورة فوق الطبيعة البشرية أو دونها أو مساوية لها، وقد يخضعها الإنسان للعقل.

الأسطورة الرمزية: تنتمي أغلب أساطير العالم المحفوظة إلى هذا النوع ، وفيها نجد أن صفات الإنسان تُخلع على الآلهة، وقد ينتصر الإنسان على الآلهة، بل إن الإله قد يموت ويتشكل بأشكال مختلفة؛ ليشبع رغباته، والأسطورة الرمزية تعطي رموزاً للمجازات، وتتضمن رموزاً تحتاج إلى تفسير، ويذهب بعض الباحثين في الأديان إلى أن الرموز ظهرت من خلال تأثير الأشكال الطبيعية للعالم، ثم أضيف إليها وغيرت فتحولت الحقيقة الدينية لأسطورة، ولهذا كله تتشابه الأساطير لدى الشعوب(١). وفي الأسطورة دائما ما يرمز الحسي للمعنوي، لكن الحياة النباتية ومظاهر الطبيعة حسية الدلالة، وقد توجد أساطير بدون طقوس لكن لا توجد طقوس بدون أسطورة، وكذلك يشير ويرمز المعنوي للحسي، وأحيانا تكون الأسطورة محاكاة لكل ما هو عقلي؛ فقد يلجأ الإنسان لرسم صورة لها في الوجود،

(١) كارم عزيز: أساطير العالم القديم ص ٤١ بتصرف.

بل قد تكون الأساطير والخرافات نسخات لأصول عقلية ثابتة، وقد يلجأ العقل البشري لجعل الأساطير محاكاة للحياة العقلية داخل الإنسان[1].

الأسطورة التاريخية: تشتمل الأسطورة التاريخية على تاريخ محقق، وفي الوقت نفسه تشتمل على خوارق، وأبطالها مزيج من الآلهة والبشر، وقد تكون الأسطورة مشتملة على حقائق تاريخية ثم زادت عن الحد، ومنها على سبيل المثال أسطورة عنترة والتي أضيف إليها بعض الصفات الإسلامية، وسيف بن ذي يزن، وهنيبال، وجلجامش..إلخ.

كيف نشأ الخلق في الأساطير؟

في معظم الأديان الوضعية يرتبط بداية الخلق بالأساطير، وخصوصاً زهرة اللوتس والماء وكذلك لا يتحدث من أوجد الإله الأول في نظرهم، بل إن أساطير العالم -خصوصاً في الخلق- تكاد تتشابه مع بعضها في جميع حضارات العالم وكأنها من الفلكلور، وللأساطير شخصياتها، وحدودها، ولها رموز تدل عليها.

وكذلك قصة الخلق حيث تذهب الديانات المصرية القديمة إلى أن خَلْق "شو" و"تفنوت" كان نتيجة استمناء "رع"، وبصقه لأطفال، بل لقد وُلِد طفل لــ" رع" على رأسه حجر كريم من اللازورد وأطرافه من الذهب[2].

بل إن (الإله) رع نفسه يحتاج من يحمله، وقد عبد المصريون العجل "حتحور"؛ لحمله "رع" يوميًا للشمس. وكذلك في قصة ميلاد "زرادشت" ما يحيط بها من أسطورة "ستظهر علامة ظلماء، وسيولد "أوشيدار" ابن "زرادشت" من بحيرة فرازدان"[3] وقد وُجِد كريشنا عليها عند خلقه، عند الهند.

---

(١) أرسطوطاليس: في الشعر، نقل: يونس بن متى، تحقيق شكري عياد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١٩٩٣م، ص ٤ بتصرف شديد.
(٢) روبرت آرمورا: آلهة مصر القديمة وأساطيرها، ت: مروة الفقي، المجلس الأعلى للثقافة، عام٢٠٠٥م، ص٢٤وص٤٩.
(٣) أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ترجمة د. خليل عبد الرحمن، رواد للثقافة والفنون ، دمشق، ط٢، ٢٠٠٨م، ص٧٤٢ .

لوناتار Luonntar إلهة الخلق في الأساطير الفلندية، وقد هبطت من السماء إلى الأرض في (٧٠٠) سنة، وتدحرجت إحدى بيض طائر النورس فخلق منها السماوات والأرض.[١]

قصة الخلق في اعتقاد الصينيين:

هناك أسطورة قديمة عند قدماء الصينيين عن بدء خلق الكون ترى أنه قبل خلق العالم لم يكن هناك شيء واستمر ذلك طويلاً، ثم ظهر شيء، ومن ذلك الشيء خلق (بان كو) ولم يذكر تاريخ الصين كم عاش، ولكن يقولون إنه غاية في القوة، له رأس تنين وجسد أفعى وانه استطاع أن يشكل العالم حوالي عام (٢٢٩،٠٠٠، ٢ق.م) بعد أن ظل يكدح في عمله هذا ثمانية عشر ألف سنة.وعندما مات تجمعت أنفاسه فصارت ريحاً وسحباً، وأضحت أناته الأخيرة الرعد، وأصبح الدم في عروقه الأنهار، وعرقه الأمطار، وعظامه الصخور، وأسنانه المعادن، وشعره الغابات والأشجار، ولحمه الأرض، ورأسه الجبال، وأصبحت عينه اليسري الشمس واليمنى القمر، أما الحشرات التي كانت تعلق بجسمه فأصبحت الآدميين، وهكذا تمت قصة الخلق[٢].

وعند الهنود:

رأت الهندوسية أن الخلق تم بواسطة "براهما" في البدء صنع شيئا كبيرًا ونفخ فيه، فحصل على نصفين (رجل وامرأة)، وهما أول زوج وزوجة، اجتمع الزوجان فكان البشر، ومع مرور الأيام اختفت الزوجة، ثم ظهرت في صورة بقرة وانقلب الزوج ثوراً، ومن تزاوجهما تولدت الماشية، ثم بدأت الزوجة تأخذ أشكالاً حيوانية متغيرة وكذلك فعل زوجها حتى اكتملت أنسال الحيوانات المختلفة[٣].

(١) إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولي، القاهرة ط: بدون، عام: بدون، ج ٢، ص ٣٤٧.
(٢) سيلمان مظهر: قصة الديانات، ص ١٨٦؛ عمر عنايت: العقائد، دار العصور للطبع والنشر، مصر، ط ١، ١٩٢٨ص ٥٤، حسن نعمة: ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ص١١١.
(٣) حسن نعمة: ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ص١١٥.

وهناك أسطورة تتحدث عن أصل العالم فتذكر أن العالم بدأ برجل يقال له "كيومرت" وحيوان يقال له "ثور" فقتلهما فنبت من سَقط الرجل "ريباس"، وخرج من أصل "ريباس" رجل سُمي "ميشة" وامرأة اسمها "ميشانة" وهما أبوا البشر، ونبت من سقط الثور الأنعام وسائر الحيوانات(١).

وفي الأساطير الهندية نجد "ماكونورا- وأنوانيتا Maconura and Anuana" أول زواج وزوجة " آدام وحواء"، وتذهب الأساطير أنه بعد انتهاء الإله الخالق" أدهيلي Adaheli من خلق الرجل والمرأة، وُلِد رجل هندي أنيق "ماكونورا" يعمل في صيد السمك، وحينما سرق السمك، وجد حيواناً يشبه التمساح يسرق السمك، فقتله ثم وجد فتاة تبكي فرباها مع أمه ثم تزوجها، وبعد فترة قتلته هو وأمه؛ لأن التمساح كان أخاها(٢).

خلق النار

من الثابت في كتب الهندوس المقدسة أن النار في الهندوسية ليست ناراً واحدة، بل هي مجموعة جهنّميات بحيث يكون لكل ذنب جهنّم خاصة به، ومن النيران التي ذُكرت عندهم [٢٥- نار برهمان ...، ٢٦- نار الكبت.....، ٢٧- نار التحكم...]، بل إن النار هي "لهب التقوى الذي خلق من نفس براهما بنفسه"(٣).

الأخلاق:

الأخلاقيات من السمات والأشياء التي تدعو إليها جميع الديانات والشرائع المختلفة بما يشبه توارد الخواطر أو علاقات مشتركة ففي الكونفوشيوسية على سبيل المثال نجد مفهوم " لي Li" وهي كلمة تعني الأدب واللباقة، وكأن هذا المفهوم يدعو إلى السلوك المهذب الذي يُسمى أحياناً التكيف. فمثلاً في كتاب الشعر القديم في الباب الأول [ليانغ هوي]:

---

(١) كامل سعفان: موسوعة الأديان (معتقدات آسيوية) ط دار الندي، ط١، عام ١٩٩٩م، ص ٩٢.
(٢) إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولي القاهرة،ج٢، ص٣٥٧.
(٣) الباجا فاد جيتا (الكتاب الهندي المقدس) ص٥٢ وص٥٥.

"ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن ظنها تخفى على الناس تعلمِ"[١]

نجدها تتفق مع قول الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وهذا التشابه بين بيئة يصعب إيجاد صلة حقيقية بينها يحتاج إلى إعادة بحث وتنقيب وجهود بحثية، للعلاقة الأخلاقية بين الأديان الوضعية.

وكأن هناك تأثيراً وتأثر بينها جميعا ورمزية تقديس زهرة اللوتس–على سبيل المثال–، وكأنها سمة وقاسم مشترك بين جميع الأديان الوضعية، فزهرة اللوتس (زنبق الماء) يغلق أوراقه في المساء وينشرها في الصباح، وكأنها مرتبطة بالشمس إشراقا وأفولا، وهي رمز النقاء والطهارة، وهي رمز الخصوبة، ويقصد بها أحياناً الخصوبة الأنثوية. ولهذا أطلق عليها المصريون: الزهرة العطرة روح "رع" وكانوا يعتقدون أن إله الشمس العظيم يختفي داخل الزهرة، وهي روح "رع" وإله الشمس العظيم عند المصريين،

وفي معظم الديانات الوضعية نجد ما يعرفُ بالتثليث؛ فعند الهندوس: "براهما"، و"فيشنو"، و"كريشنا". ثلاثة في واحد، وعند المصرين كذلك؛ فهو "خبري" في الصباح، و"رع" في الظهيرة، و"آتوم" في المساء"[٢]، كما أن الآلهة تنجب وتتصارع ويقتل بعضها بعضاً. لا بد وأن نقر أن الديانات الوضعية من حيث التسمية لا حرج في ذلك فلقد قال الله عز وجل "لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦" الكافرون، والقرآن الكريم ذكر ديانات المجوس فقال جل شأنه { إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝١٧} الحج. وقد ذكر الرسول ﷺ الديانة المجوسية فعن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ:

(١) الكتب الأربعة المقدسة (منشيوس) ت محسن فرجاني، ص٢٠٨ .
(٢) روبرت آرمورا، آلهة مصر القديمة وأساطيرها، ص ٢١.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»(١) رواه البخاري

كما يلاحظ أن هناك فرق بين الظاهرة الاجتماعية، والظاهرة الدينية، ومن فوائد علم مقارنة الديانات: مقابلة الديانات؛ للكشف على أوجه الاتفاق والاختلاف بينها، ومن الأسئلة التي تشغل بال الباحث في مقارنة الأديان: أين ومتى نشأ أي دين؟

ومن الثابت أن التدين فطرة في الإنسان؛ فهو تلبية لحاجات النفس الإنسانية في جوانبها المختلفة(٢)، ولا يمكن أن يناقش أصحاب الأديان السماوية العقائد أو اخضاعها للتجربة الحسية، أو الذاتية؛ فلكل دين غاية، ويظهر معنى إدراك الغاية حينما نفعل الخير ليس لأنه طريقنا للسماء ولكن لأنه خير.

وللرمز في الديانات الوضعية مكانة كبرى، وإن تقديس الطبيعة ما هو إلا رمز للخالق سبحانه وتعالى، ففي شعلة النار مظهر للنور الإلهي، وهي رمز لكل معاني الإله جل وعلا، والمقصود من النار هو ما ترمز إليه النار لا النار، فالتقديس للمعنى لا النار في حد ذاتها؛ فالقدسية تعني الوفرة والنماء والصحة(٣).

إن اختيار النار كرمز فيه إشراق، ونشاط مستمر، وهي غير قابلة للفساد والتحول، والمقصود المعنى الذي ترمز إليه النار لا النار في حد ذاتها، ويتشابه تقديس النار عند المصريين، والهندوس، والزرادشتية، والكونفوشيوسية، و"الشمس هي النار الإلهية، والنار هي تجليات الشمس المقدسة"(٤)، وقد سمى بعض المسلمين

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط١، دار طوق ١٤٢٢هـ، ج٢، ص٩٤، رقم١٣٥٨.
(٢) عصمت نصار، نظرات في مقارنة الأديان، دار الهداية للطباعة والنشر، ط ٢٠٠٥م/ص٢٧.
(٣) أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ص٦٣.
(٤) أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ص٣٣.

النار كعبة "زرادشت"، والنار عندهم قبلة لا إله، وتمرير العصى فوق المتعبد إشارة رمزية في الديانة الشنتوية. بل إن الطبيعة كلها رمز للكامي[١].

ونجد وضوح الرموز في الأديان الوضعية بما يُطلق عليه "المذهب التوتمي"، وقد يعتبر محور فلسفة الأديان، والرمز التوتمي أكثر تقديساً من الحيوان أو النبات نفسه؛ فالرمز لا يمكن لغير المتطهر لمسه، لكن يمكن لغير المتطهر لمس الحيوان أو النبات[٢]. وما "آهورا مازدا" إلا تجسيد للكلمة المقدسة الذي يحكم الكون فعليا من خلال آرتا[٣].

وفي الديانات الوضعية نجد تشابهًا كبيراً خصوصًا في الرمز التوتمي، فعلى سبيل المثال: فإن الاحترام للثور يلعب دورًا في الديانة الفارسية[٤]، وكذلك الديانة المصرية فقد عبدوا العجل "حتحور"؛ لحمله رع يوميًا للشمس، بل أحياناً يحضرون خنزيراً أسودًا، ويقطعونه بقسوة إلى أجزاء على مذابح الرمال على حافة النهر، وكذلك عبادة الخنافس والشمس رمز للآلهة[٥]. ومن أقدس الأشياء الدم، والشعر، والتراب الأحمر.

إن الرمز له بُعد ميتافيزيقي؛ فمثلا في الديانة الشنتوية: نجد العبادة روح لا كيان مشخص؛ فقد بدأت بعبادة الأرواح ثم قوى الطبيعة[٦]، وأفضل ما يمثلها رمز أو شعار يشير إليه، فليس للشينتو أيدولوجية معينة فهي أقرب ما تكون للخرافات، فالقيم التي يحرصون على غرسها تنحو نحو التوجه الأخلاقي لا التعاليم الدينية[٧]. أما تمجيد الطبيعة ورموزها فهو تجسيد للإله.

---

(١) فراس السواح، موسوعة تاريخ الديان، الكتاب الرابع، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط٤، ٢٠١٧م، ص ٤١٦.
(٢)عصمت نصار، نظرات في مقارنة الأديان ص ٢٧.
(٣) أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ص٣٢
(٤) مارسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط١، ١٩٨٦م، ج١، ص ٣٨٥.
(٥) روبرت آرمورا،آلهة مصر القديمة وآساطيرها، ص ٤٠وص ٥٠ بتصرف شديد.
(٦) مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ،إشراف مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط٣، ١٤١٨هـ، ص٧٤٢.
(٧) فراس السواح،موسوعة تاريخ الديان، ص ٤١٢.

والرموز قد تكون وضعية أو عقلية أو طبيعية: فقد تكون الرموز طبيعية فمثلاً الحمرة تدل على الخجل، والصفرة تدل على الوجل، وقد توجد رموز وضعية أو غير وضعية فدلالة الدخان على النار غير وضعية(١).

إن الطبيعة ومظاهرها مقدسة في كل الأديان الوضعية ولكنها تظهر بجلاء في الديانة الزرادشتية، والشنتوية، والكونفوشيوسية، والبوذية....إلخ، واُستخدم مصطلح الكامي في الشنتوية، والكامي عندهم كل إله أو شيء يسمو فوق الإنسان(٢)، وفي الكونفوشيوسية يعني المبدأ الخلقي الناظم للعالم، أو القاع الكلي للوجود والجوهر بالتعبير البوذي.

والسؤال الآن كيف يتم رسم الكامي، أو تكوينه؟ وقد كان يتم ذلك من خلال: رسم بقعة وتحديدها بحبل من القش أو من الحجارة، ثم يقومون بزرع غصن أو شجرة في وسط البقعة، ثم يبدأون بالتضرع للكامي، ويشرعون في الطقس الذي كانوا يهيئون له، بل إن تقديم شجرة السكاكي المقدسة الطرية إشارة رمزية لتقديم بواكير الزروع والثمار(٣).

وبنظرة سريعة على الديانة الزرادشتية نجدها تقدس الماء، فكما رأى "زاردشت" الماء ودوره في الطهارة، والخصوبة، حكمة عظيمة في تركيب الكون، ويروى أنه شرب قليلاً من الماء فتسربت إليه حكمة "آورمازد" الكلية، وعليه فقد أمر أتباعه بقوله "مجدِّوا المياه الخيّرة والمخلوقات الخيرة، واعترفوا بديانة "مازدايا سنا"، ويقول في موضع آخر: كن حصانا سريعًا، كن نورًا مثل الشهر، حارًا كالنار(٤).

(١) أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات، مؤسسة الرسالة، ط٢، عام١٩٩٨م، ص ٤٤١.
(٢) مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ص٧٤٢.
(٣) فراس السواح،موسوعة تاريخ الديان، ص٤١٦ و ص٤١٨بتصرف.
(٤) أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ص ٧٢١، وص ٧٢٨.

ومن أعظم الذنوب في الديانات الوضعية قتل الحيوانات، فمثلا سمكة "كارا" فهي تدور مع الإنسان وتحميه، وتغسل الذنوب بتمجيد القمر، ونار "بهرام"، .... وعندما تصل الروح إلى الحمار ثلاثي الأرجل فإنه بنظرة منه يغسلها جميعًا.(١) وحينما سُئل "زاردشت" عن أكثر الآثام وبعد أن حددها ذكر منها: "سادسًا: من يطفئ نار بهرام، سابعًا: من يقتل كلب ماء"(٢)

ولقد قدس المصريون الخنافس ووضعوها مع الموتى فهي ترمز لإله الشمس، وكانت "تفنوت" إلهًا شرسًا في الصحراء لكنها تحضرت في مصر، وكان للرمز مكانته في الحضارة المصرية فمثلا "ثعبان الكوبرا" كان رمزاً يضعه الملوك على تيجانهم للاستفادة من قوتهم- وما زال يوضع شعاراً على معظم بيوت بيع الدواء-، وزهرة اللوتس رمز لإعادة الميلاد؛ حيث إن توالي حضورها من الأعماق يحدث كل صباح(٣).

لكن تكمن مشكلة الرمز أنه قد يخلق لدى المتابع نوعًا من المادية المحسوسة؛ فقد يتوارى مدلول الرمز، ويظهر الله -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا- مجسمًا كبقية الماديات، وهذا ما يحدث لمن لا يفهم الديانة الزرادشتية، وهناك فرق بين الله سبحانه وتعالى وبين رمزه كما عند الصوفية في الإسلام.

سمات الأساطير

إن المدقق في الأديان الوضعية ليجد تشابهًا كبيرًا في الأساطير: نشأتها، سماتها، طريقة انتقالها، فمثلا نجد أساطير الخلق تكاد تكون متطابقة مع اختلاف بسيط، وكذلك نجد بعض الرموز المشتركة في جميع الأديان الوضعية. وفي بعض

(١) أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية،ص ٧٨٧، وص ٧٩٢.
(٢) أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ص ٧٧٧.
(٣) روبرت آرمورا: آلهة مصر القديمة وأساطيرها، ص ١١.

العقائد كذلك، بل إن التشابه قد يصل للجانب الأخلاقي منها. وهي بذلك تشبه الفلكلور الشعبي.

خصائص وسمات الأسطورة:

١) التعالي: الأسطورة بطبيعتها تحتاج لزمان ومكان غير منطقي، وهي خارج حدود الزمان والمكان، فهي بذلك تتعالى على عنصري الزمان والمكان، فمن أبرز خصاصها اللازمان واللامكان، وهذان العنصران مسيطران على كل شيئ في الأسطورة؛ فالبطل الأسطوري أو الإله البشري يتحد مع الطبيعة بلا حدود فاصلة بينهما بل تتحد إرادته مع إرادة الإله فهو مظهر له.

٢) التكرار: فالأسطورة تتكرر في معظم الروايات؛ وهي تدور حول الآلهة وأنصاف الآلهة، والإنسان فيها عنصر مكمل للأحداث، وأحياناً يدخل في صراع مع الآلهة.

٣) التشابه بين القصص الأسطورية: تتشابه جميع الأساطير من حيث الأهداف والمقاصد ... إلخ. كما في الملاحم البابلية (جلجامش) أو الأساطير المصرية، واليونانية، والهندية، وكأنها من نسيج واحد، بل قد يتخفى البطل أو الإله في شكل مختلف بعد تعرضه لمكائد كثيرة ومتعددة. وتتشابه أسطورة الخلق في معظم الأديان الشرقية القديمة وخصوصًا في التثليث عند الديانات التي تؤمن بتعدد الآلهة مثل: ديانات الشرق الأدنى القديم والهند واليونان، وهي غنية بمجموعة من الأساطير الغنية والمتنوعة[١]، ولا تخضع للتحليل، ولكن لمبادئ العقيدة وقد توجد الأسطورة بصورة فلكورية بين جميع الشعوب حتى وإن لم تتصل ببعضها وقد تستند ظاهرة الانتشار إلى تعددية الأصول Polygenesis أو الوحدة النفسية للإنسان Psychic Unity of Man. وفي معظم الأساطير يذهب بطل الأسطورة للبحث عمن يحب ويعود به للحياة، كما "أورفه" حينما أعاد زوجته "أوريديس"

(١) كارم محمود عبد العزيز، أساطير العالم القديم، ط ١، مكتبة النافذة، ٢٠٠٧م، ص٨٣.

للحياة، ولكن اشترط عليه "بلوتون" إله الجحيم ألا ينظر إليها في مملكته، ولكنها لم تكف عن الصراخ، ومن ثَمَّ فقدها، وتتشابه أسطورة "أورفه وأوريديس" بعد رقة الآلهة "جوبتير" معهما مع الأسطورة اليابانية وبطلتها "تشانغ تاي [زهرة الخوخ]" التي حزنت لموت خطيبها "تسيان ليو" وتوسلت للإله "فو" الذي أنار لها الطريق لإحضار الطلسم المقدس من القصر المهجور، وأنار طريقها بزهرة الزنبق.(١)

وكما حدث في الأساطير المصرية مع "إيزيس وأوزريس"، وأسطورة "أدويب" المتزوج من أمه، نجد شبيها بها نجد زوجة " أنوبو" ترغب في أخي زوجها الذي يخصي نفسه ويموت، وفي الهند أساطير مثلها كثيرة.(٢)

٤) الشخصيات كلها تتشابه في جميع العلاقات بينها، وحتى التي لا يمكن تصورها، والآلهة لا توجد فوارق بينها وبين البشر، وقد تمتزج الآلهة بالحيوانات؛ ففي بعض الأساطير نجد "أبي نو ياسونا" Abe No Yasuna قد تزوج من امرأة جميلة تُدعى " كوزونوها" التي كانت في صورة ثعلبة بيضاء بعد انجابها ابنها "آبي نوسيمي".(٣)

٥) اللامنطقية: حينما يقرأ الإنسان في كتب الأساطير: تجد اللامسموع ينطق، واللامرئي يتحرك، وكأنها في صورة بديعة: كتماثيل الفراعنة، والآلهة في اليونان أو الهند وغيرها؛ فهي لا تتوافق مع أي منطق، أو تخضع لأي تصور عقلي، فتتميز باللامنطق، اللازمان، اللامكان، اللامعقول.

٦) واقعية الموضوع الأسطوري؛ فلولا الاعتقاد بواقعية الأسطورة لفقدت مصداقيتها وتحولت إلى خرافة صرفة، وهي عند معتنقيها حقيقة واقعية لا يتطرق إليها أدنى شك، وهي أمر مسلم بمحتوياته لدى من يؤمنون بها.

(٢) قدري قلعجي، أساطير الأمم، مكتبة الطالب، دار المكشوف، ط١، ١٩٤١م ص٨وص٣٥وص٤٢ بتصرف شديد.
(٣) أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ط١٩٦٧م، ص٤٢ بتصرف.
(٤) إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولي، القاهرة ط: بدون، عام: بدون، ج١، ص ٢٨ وص٢٩.

٧) التصور الدرامي، وهو الصراع بين الخير والشر. وفي جميع الديانات الوضعية –ولا تكاد تخلو ديانة وضعية من ذلك– نجد الصراع المستمر بين الخير والشر.

٨) تتفق معظم الأساطير أن الإله يموت فتموت الحياة بأسرها ثم تبعث من جديد(١).

٩) الأساطير كلها تبعث على التفاؤل؛ فهي تقدم نفسها كأمر مسلم به ولا مجال للجدال فيه.

١٠) الأسطورة تميل للتشخيص، وتفسير بعض مظاهر الطبيعة كنشوء الكون، أو أصل الرعد والزلازل، والممارسات الدينية وأسرار الحياة والموت، وبعض العادات والتقاليد(٢).

١١)الأساطير مجهولة المؤلف، فليست نتاج فكر شخص معين، ولكن تبناها المجتمع، فصارت نتاجًا للمجتمع كله، وأصبحت بذلك قالبا رمزياً تتجمع فيه أفكار البشر.

١٢) الأساطير في مراحلها البدائية ملكا مشاعًا للشعب ولا تحتاج لمبرر لتداولها(٣)، وهي تعمل على هدم الحواجز بين البشر والظواهر المحيطة بهم وتستعصي على الفهم.

١٣) وتتساق الأسطورة في لون واحد من النظم، وعلى صورة السرد الروائي، ولا تتقيد بفترة محددة من الزمن(٤)، وقد تبدو الأسطورة من حيث الشكل

---

(١) كارم محمود عبد العزيز، أساطير العالم القديم، ط ١، مكتبة النافذة، ٢٠٠٧م، ص٦٥وص٦٦وص ٢٠٩بتصرف شديد.

(٢) ماكس شابيرو- رودا هنديكيس، معجم الأساطير، ت حنا عبود، دار علاء ط٣، عام ٢٠٠٨م، ص ٧ بتصرف.

(٣) س.م.بورا، التجربة اليونانية، ص١٦٣،ص١٦٨.

(٤) أرسطوطاليس: في الشعر، نقل: يونس بن متى، تحقيق شكري عياد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١٩٩٣م، ص٤٤.

خالية من التماسك المنطقي في تسلسل أحداثها من حيث الزمان والمكان. (كتاب التحليل السيميائي للأسطورة. يدقق ويضاف له.) وهي تتميز بعمقها الفلسفي وأنها أمر مسلم به.

وظائف الأساطير

للأساطير وظائف متعددة ومتنوعة، بل إن الباحث في علم الرموز والأساطير كمثل إخوة اختلفوا في طريق موصل لمقصدهم، ولما التقوا في غسق الدجي صرخ كل منهم صرخة المستنجد، فظن كل منهم أن الآخر عدوا فاستحر بينهم القتل حتى تساقط معظمهم، فلما طلع النهار تعارفوا، ولكن كان الأوان فات.

١- إن كل شيء يعتبره الإنسان هاماً بالنسبة له فإن الأساطير تحاول أن تضيف له معنى، ويلجأ بعض الناس إلى تفسير الظاهرة وجعلها حالة معايشة، لإضفاء حالة من الشرعية عليها.

٢- للأسطورة وظائف فلسفية؛ فارتباطها بالخرافات والرموز أصبحت من المتضايفات؛ فهي تتميز بعمقها الفلسفي الذي يميزها عن الحكايات الشعبية، فيسهل استنباط صور القدماء منها، ولمعظم الثقافات أساطيرها الكونية التي تتناول نشأة الكون وخلق البشرية، وغالبًا ما تتم النشأة الثانية للكون عقب كارثة تحل بالبشرية[١].

٣- الأسطورة صورة تاريخية، فهي الصياغة الأولى للتاريخ، بل تصف ما يعجز الإنسان عن وصفه، وتجيب عن أسئلة ميتافيزيقية قد لا نجد لها جواباً.

٤- الوظيفة الدينية؛ فهي تسجل نشاط الآلهة وتفصيلات حيواتهم، وبهذه الجزئية تزيد وتختلف عن التاريخ، ولها قيمة تعليمية في المجتمعات البدائية: فمثلاً أصل الكون، نهايته .... إلخ.

(١) ماكس شابيرو- رودا هنديكيس، معجم الأساطير، ت حنا عبود، دار علاء ط٣، عام ٢٠٠٨م، ص ٨. بتصرف بسيط.

٥- الأساطير تشبع بعض الغرائز؛ لا عن طريق التراضي لكن عن طريق الغرائز الهدامة اجتماعياً؛ كالقتل مثلاً، أو الاستهتار بالمحارم، كل هذا في الأساطير -وإن كان غير مقبول من الناحية الدينية- فالأساطير لا تُكَذب ولا يُحط من قدرها.

٦- قد ترجع أهمية التراث الأسطوري كونه المفتاح لفهم التراث الحضاري القديم، بل قد تكون أساس للآثار الأنثروبولوجية.

وتتعدد وتنوع الأساطير لتنوع المناهج التي تتناولها بالدراسة، ومنها:

المنهج اليوهيمري: يرى الأسطورة قصة لأبطال حقيقية سابقة، وهو من أقدم المناهج.

المنهج الطبيعي: يرى الأسطورة وأبطالها ظواهر طبيعية تم تشخيصها ثم تحولت إلى شخصيات مقدسة.

المنهج المجازي: يرى أن الأسطورة قصة مجازية تخفي معاني ثقافية عميقة وقد تبدو الأساطير وكأنها مجموعة من العناصر العقلية تتضمنها قصة لا عقلية أشبه بالحلم، أو أشبه بحكاية من حكايات الجن.

المنهج الرمزي: قصة رمزية لعصرها، ويجب دراسة العصر لفك رموزها، وقد تحمل الأسطورة برموزها معنى فلسفياً عميقاً، وتكون مهمة الفلسفة رفع الغطاء عن الجانب الخفي المستتر، وتفسير عملية الرموز، بل هناك من يتعامل مع الأساطير أو الرموز التي تحيط بها على أنهما واقع حقيقي وإن كان الاطار الدبي الموضوع فيه بدل أو حرف أو زاد فيه الكتاب، والتفكير الأسطوري لا يفرق، وليس لديه تمييز بين الرمز وما يشير إليه، والأفكار المجردة قد تتجسد وخصوصاً أن هناك من يرى أن الأسطورة ترتبط بالواقع، بل أحياناً يطلق عليها ميتافيزيقية.

المنهج العقلي: الأسطورة سوء فهم عند تحليل أو سرد رواية أو حدث معين.

منهج التحليل النفسي: الأسطورة رمز لرغبات غريزية وانفعالات نفسية[١].

وقد تشترك الرمز والأسطورة في عدة أشياء

فهناك علاقة بين الرمز والمدلول، فمثلاً الحمامة ترمز للسلام، وقد يكون رفع الذراع دليل على الاستسلام، وبإشارة أخرى قد يكون تهديداً، وقد يكون الهدف الرئيس من الأساطير والرموز الاحتفاظ برباط مع الطبيعة[٢]، قد يكون للأسطورة رمز مرتبط بواقع من الأحداث، وأي ظاهرة في الكون لها تفسير في العلم، لكن الأسطورة لا يوجد منطق علمي لتفسيرها.

سمات وخصائص الرمز:

١- الرمز ليس برهاناً بل هو اختصار مذهل.

٢- الرمز المستخدم ليشير إلى علامة أسهل وأبسط مما يشار إليه بفكرة، فمثلاً اللون الأحمر في إشارات المرور قف، وفي بعض الشركات اجتماع مهم، ورفع علامة على الطريق فهو معناه خطر، وحين ترفعه منظمة ما أو دولة فهو رمز لها كالعلم مثلاً، واللون الأسود حداد وهكذا.

٣- تحكم الرمز عدة عوامل نفسية: فمثلا رموز الرياضيات تشير لأشياء وأرقام محددة، والهلال بالنسبة للمسلم والصليب للمسيحي لهما دلالة لا هتم بها غيرهم. وعلى سبيل المثال العدد (٣) له قدسية عند كثير من الأديان، وهو رمزية في المثلث الماسوني؛ حيث يقدم التوازن بين القوة التي تعلم، والجمال الذي يزين، والحكمة التي توفق، والرقم (٧) له رمزية في كل الأديان حتى في الإسلام، وكذلك العدد(١٣) رمز للتشاؤم فهو يمثل من اشتركوا في العشاء الأخير[٣] .

---

(١) نبيل علي العتوم، عادل علي العبد الله: الأساطير في الكتب المدرسية الإيرانية: ص ٧وص٨ بتصرف شديد.

(٢) هنري فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ت ميخائيل خوري، بدون ط، ص٧٠.

(٣) فيليب سيرنج، الرموز في الفن والأديان والحياة، ت عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط١، عام ١٩٩٢م ص٤٩وص٤٧١. بتصرف .

٤- الرمز يختلف من مكان لآخر، فالحمار مثلاً في مكان قد يعني البلاهة، وفي مكان آخر قد يكون رمزاً.

٥- الرمز كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه، أو يعبر عما لا يمكن التعبير عنه إلا به[١] ولقد أكثر فرويد على سبيل المثال من استخدام الرمز لكن استخدمه بطريقة إيحائية جنسية في كتاباته.

٦- تدرك الصعوبة في تعريف الرمز، فالحقائق تبقى خلف الأشكال الرمزية؛ فهو يعبر بشكل محسوس ومميز عن موضوعات بغير الرمز تعلو عن إدراكنا، فبفضل الرمز يصبح المعنوي محسوسًا مرئياً لعين العقل.

٧-إن من يعتقد أن الرمز يغير في الأساس أو الحقيقة فهو يخالف بداهة العقل.

---

(١) فيليب سيرنج، الرموز في الفن والأديان والحياة، ت عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط١، عام ١٩٩٢م ص ٤٠ .

الخاتمة

موقف الإسلام من الديانات الوضعية

حين تقارن الدراسة بين الإسلام والديانات الوضعية ليس من قبيل إثبات خطأها بل نترك للقارئ الحكم عليها فهي من باب التسمية تُسمى ديانات؛ فالله سبحانه وتعالى أسماها ديانات ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ آل عمران، وكذلك في قوله تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون آية ٦ .

وما دامت كلمة ديانات تطلق على الديانات الوضعية والسماوية فلا بد من رابط يربطها جميعاً وإن كان الرابط معنوياً. وإن المدقق ليجد رابطاً بين الديانات الوضعية كلها.

ومن المعروف أن التدين لدى الإنسان ضرورة فطرية، كالطعام والشراب، وهي غريزة كالجوع والعطش ولابد من إشباع هذا الدافع، ومن لم يشبعه بالمذهب الصالح أشبعه بما فسد من مذاهب. ولذا نجد كل من يدين بدين – وإن كان فاسداً – يتعصب له أشد التعصب. وكذلك نجد أن تغيير اعتقاد الأشخاص الديني أمر غاية الصعوبة إن لم يكن مستحيلاً. وعلى الرغم من ذلك نجد البشر جميعهم – مهما اختلفت ثقافتهم ومعتقداتهم – يهتمون بالرمز، وهذا ما سوف تتعرض له الدراسة في صفحاتها التالية.

من المقرر أن أي إنسان متدين عند الحديث عن دينه – ولو بمنطقه المغلوط – نجده يمجد ما يعتقده ويدافع عنه، ولكن ليس من حقه مهاجمة دينا آخر وفي القرآن الكريم إشارة إلى ذلك بقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..... ﴾ العنكبوت آية٤٦. بل ذهب القرآن إلى احترام الأديان الأخرى وعدم سبها ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ فَيَسُبُّوا اللَّـهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام آية

١٠٨. وهناك من يتعرض للآخر مشوهاً لمعتقداته، ومن يعتبر مجرد النقد عيباً وازدراءً لدينه. فهل نسكت أم نوضح ونترك الباب مفتوحاً للنقاش.

أوجه التشابه بين بعض الديانات الوضعية

إن المدقق والباحث في الأديان الوضعية (كالزرادشتية والشنتوية –على سبيل المثال–) ليجد تشابهاً، وقواسم مشتركة بينها، وتفيد مقارنة الأديان في أنها تكشف عن جوانب الاتفاق أو الاختلاف بين الأديان الوضعية، وهناك عدة عناصر أساسية لأي دين ومنها :–

** **العقيدة:** وهي مجموعة العقائد التي يؤمن بها الإنسان. ووجدت بعض الفرق الإسلامية التي كانت ترى رأي من يقولون بالتناسخ مثلاً ومنهم "المنصورية" وهم أتباع أبي منصور العجلي، ومن عقائدهم أنهم ينكرون القيامة والجنة والنار ويقولون: إن الجنة نعيم الدنيا، والنار محن الدنيا"[١]، وهناك من تابعهم في القول بالنعيم أو الشقاء في الدنيا الذين قالوا: إن "الجنة ما يصيب الناس من الخير والنعمة والعافية، وإن النار ما يصيب الناس خلاف ذلك وقالوا بالتناسخ[٢]، مستندين إلى قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ٧﴾ الانفطار. وكذلك إلى قوله تعالى: ﴿..... جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ... ﴾ الشورى آية ١١. وهؤلاء هم الدهرية.

** **الشريعة:** التعاليم الدينية التي تتعلق بالمقدسات.

** **المقدسات:** وهي ما ينظر له الإنسان بشيء من الهيبة والاحترام، كالكتب وأماكن العبادة....إلخ .

** **العبادة:** القيام بأفعال محددة في أماكن وأوقات محددة تعبر عن طاعة الإنسان وخضوعه للإله أو ما يرمز إليه.

---

(١) الإسفراييني : التبصير في الدين ص ١١٠.
(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين ص ٧٨.

كما نجد أن هناك دين رسمي وهو: التعاليم والعقائد الموجودة في الكتب. وهناك دين شعبي وهو: ما يمارسه الناس بعد التطور التاريخي والمذهبي لدى الناس.

هناك بعض المظاهر التي يتكرر ظهورها في كل دين سماوي أو وضعي- ما يسميه بعض العلماء (فلسفات) - ومن هذه المظاهر:-

١- السلطة Authority: أي التزام الناس ببعض القوانين التي يجب عليهم اتباعها.

٢- الشعائر والطقوس The Ritual: نشأت الأديان في الاحتفالات في شكل منظم اجتماعي كسرب الطيور المنتظمة في حركاتها.

٣- التـــأمل والتفكير العقلي Speculation تنشأ الأديان كطقوس ثم تستمر ويتم استدعاء العقل ليجيب عن أسئلة ومنها: من نحن؟، إلي أين نذهب بعد الموت؟.

٤- السُنن أو التراث الديني Tradition، إن السُنن هي التي تنقل التراث الديني.

٥- الأسرار: كل دين يشتمل على بعض الأسرار والعجائب الخارقة للطبيعة.

٦- النمط: مبدأ هيمنة الله ورحمته، كل شخص تابع لغيره .(١)

وتشترك الديانات الوضعية في بعض الأمور ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

نجد من القواسم المشتركة بين النحل والديانات الوضعية تقديس الحيوانات من أبرز العناصر في الأديان الوضعية، ولهذا لا نجد صعوبة في الاعتقاد بأن روح الإنسان التي فارقته قد تحل في حيوان أو العكس. وفي الأديان الوضعية نجد تشابهًا كبيراً خصوصًا في الرمز التوتمي، فعلى سبيل المثال: فإن الاحترام للثور يلعب دورًا في الديانة الفارسية(٢)، وكذلك الديانة المصرية فقد عبدوا العجل "حتحور"؛ لحمله رع يوميًا للشمس، بل أحياناً يحضرون خنزيراً أسودًا، ويقطعونه بقسوة إلى

(١) هوستن سميث ، أديان العالم دراسة روحية ، ص ١٥٠:١٥٢بتصرف
(٢) مارسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط١، ١٩٨٦م، ج١، ص ٣٨٥.

أجزاء على مذابح الرمال على حافة النهر، وكذلك عبادة الخنافس والشمس رمز للآلهة[١]. ومن أقدس الأشياء الدم، والشعر، والتراب الأحمر.

الديانات الوضعية في الميزان

وإذا نظرنا إلى الديانات الوضعية (الزرادشتية والشنتوية على سبيل المثال) يجد عليها بعض المآخذ ومنها:-

أولاً: من حيث الوضع: مجموعة من التعاليم؛ فالزرادشتية أسلوب حياة أكثر منها عقيدة، ولا يَعرف على وجه التحديد متى بدأت هذه الفكرة؛ فلا يُعرف هل هي من تنظيم الآريين المنحدرين من بلاد الدانوب بأوربا أو من التركستان عند نهر جيحون[٢]. بل إن بعض هذه الأديان لا يعرف على وجه التحديد مؤسسها. بل ينظر لبعض هذه الديانات كحضارات، وقد وضع كل دين لأتباعه منهج حياة.

ثانياً: الآلهة في الأديان الوضعية متعددة فهم يعبدون كل شيء وأي شيء حتى حشر الأرض، وهناك من يقتل الفئران أو الأفعى أو القرد أو يذبح البقرة..... إلخ، فإذا ذبحت البقرة مثلاً، فقد ذبحت الإله، فمن يحكم الأرض ويتصرف في الكون حال موت الإله – تعالى الله عن ذلك –وكيف نثق في إله لا يدافع عن نفسه ؟! .

ثالثاً: نظام الطبقية قيد سماوي معلق على رقاب البشر لا يتخلص أي إنسان منه بثورة ولا غيرها، فلا يمكن التخلص منها إلا بالتخلص من الديانة التي يؤمن بها، والخروج منها. بل إن شئت فقل الطبقية في العبادات كذلك وفي اليوم الأخر كما تناوله البحث من قبل. ويجب أن يكون التفاضل بالأعمال؛ فمن منا اختار شكله، أو لونه، أو جنسه، أو أسرته، فلماذا التفاضل على شيء لا دخل لي فيه .

رابعاً: **لكن لماذا الحرق؟** وهل هو تطور عن ديانة أخرى، فلقد كانت أجساد الموتى فيما مضى من الأزمنة الأولى تدفع إلى السماء بأن تلقى في الصحاري

(١) روبرت آرمورا،آلهة مصر القديمة وآساطيرها، ص ٤٠وص ٥٠ بتصرف شديد.
(٢) عبد القادر شيبة الحمد ، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ، الرياض ١٤٣٣هـ ص ٥٩ بتصرف ط ٤

مكشوفة لها[١]، ثم دفن في أبراج الصمت كالزرادشتية، ولكن لماذا اتجهوا لحرق الموتى، وكيف وصل إليهم، وما أساس الحرق في ديانتهم، فالذي رسم لهم الحرق هو " نارابن" دفعها للنار فمنذ ذلك الوقت يحرقونها، فلا يكاد يبقى منها شيء.[٢]، ومن البدهي رياضياً أن أقرب طريق بين نقطتين الخط المستقيم، " ولا يوجد إلى العلو إلا النار أو الشعاع"[٣] فالماء والتراب مقدسان عندهم، ولعلهم في إشعال النار لا يدنسانهما بترك الجثة فيهما، فالواجب حرقها لذلك.

الأديان الوضعية هل هي فلسفات أم ديانات

إذا نظرنا إلى بعض الأديان الوضعية في مجملها العام – كالزرادشتية مثلاً – نجد أنها فلسفة اجتماعية تقوم على حُسن التعامل بين المجتمع وأفراده جميعاً، بل إن أراء وأفكار الزرادشتية عند صياغتها لتشبه إلى حد كبير طريقة كتابة الأدباء من حيث مراعاة الأسلوب [٤]* فنظامه أخلاقي واجتماعي وتقوم على المبادئ الاجتماعية.

والمجتمع الديني عند الشنتوية "مجتمع طبقي يتميز كل فرد فيه بوضع اجتماعي محدد تحديداً دقيقاً يتفق مع أخلاقه وعمله بل ونسبه" [٥] حتى الشعائر الدينية لا تهبط لمستوى عامة الناس، وقانون العقوبات لا يرتقي لمستوى النبلاء.

ولم يتخذ أحد منهم المعتقد الديني، ولا من الأمل الديني، منطلقاً وأساساً لفلسفتهم بل انطلق من الطبيعة البشرية، والطبيعة العامة"[٦]، وكذلك الأنبياء لا يقدسون شيئاً من دون الله.

وكذلك القبر ليس له ذكر في الأديان الوضعية، والعقل لا ينكر وجود مرحلة بين الدنيا والآخرة، وهذه المرحلة تُسمى مرحلة البرزخ أو الحياة البرزخية، وأول قبر حفر قبر الهدهد الذي علم ابن آدم الدفن.

---

(١) البيروني ، مرجع سابق ص ٤٧٧.
(٢) البيروني ، مرجع سابق ص ٤٧٨.
(٣) البيروني ، مرجع سابق ص ٤٧٩.
(٤*) ينظر د زكي نجيب محمود ، الشرق الفنان ص ٤٦
(٥) صلاح بسيوني رسلان ، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني، منتدى مكتبة الإسكندرية ص ٢٠١
(٦) على عبد العال ربيع، حولية كلية الدعوة الإسلامية ، ص ١٢٩و ١٣٠.

المراجع

١- المعجم الوجيز(مرجع سابق).

٢- تاج اللغة: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط ٤/ ١٩٨٧مدار العلم.

٣- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ(سطر) .

٤- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة،

٥- لويس معلوف اليسوعي، المنجد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،١٩٣٥م.

٦- س.م. بورا، التجربة اليونانية، ت أحمد سلامة محمد السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٩٨٩م.

٧- السيد حنفي عوض، الأنثروبولوجيا مرآة الشعوب، دار الحق للطباعة، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م .

٨- الزمخشري محمد بن عمر: حقائق التنزيل وعيون التأويل، مكتبة مصر.

٩- نبيل علي العتوم، عادل علي العبد الله: الأساطير في الكتب المدرسية .

١٠- الإيرانية، مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية.٠

١١- جورج إدوارد إفري، أسطورة المسيحية بين الحقيقة والخيال، ت: عادل أعد الميري، ط١، عام٢٠١٥م.

١٢- الأب لويس معلوف اليسوعي، المنجد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١٩٣٥م، ص ٣٤٣. وكذلك لسان العرب، ابن منظور، بيروت، ط٣ عام١٤١٤هـ.

١٣- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز ط ١٩٩٥م/١٤١٦هـ .

١٤- تهذيب اللغة ج ١٣ ص ١٤١/ محمد بن أحمد الأزهري ت محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث ط ١ عام ٢٠٠١م .

١٥- أسطورة المسيحية .
١٦- محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، دار صادر عام ١٤١٤م .
١٧- أرسطوطاليس: في الشعر، نقل: يونس بن متى، تحقيق شكري عياد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط١٩٩٣م .
١٨- كامل سعفان: موسوعة الأديان (معتقدات آسيوية) ط دار الندي، ط١، عام ١٩٩٩م .
١٩- حسن نعمة: ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة .
٢٠- سيلمان مظهر: قصة الديانات، ص ١٨٦؛ عمر عنايت: العقائد، دار العصور للطبع والنشر، مصر، ط ١، ١٩٢٨.
٢١- إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، مكتبة مدبولي، القاهرة ط: بدون، عام: بدون.
٢٢- أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية، ترجمة د. خليل عبد الرحمن، رواد للثقافة والفنون ، دمشق، ط٢، ٢٠٠٨م .
٢٣- عصمت نصار، نظرات في مقارنة الأديان .
٢٤- فراس السواح، موسوعة تاريخ الديان، الكتاب الرابع، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، ط٤، ٢٠١٧م .
٢٥- أفستا الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية .
٢٦- عصمت نصار، نظرات في مقارنة الأديان، دار الهداية للطباعة والنشر، ط ٢٠٠٥م .
٢٧- روبرت آرمورا، آلهة مصر القديمة وأساطيرها.
٢٨- الكتب الأربعة المقدسة (منشيوس) ت محسن فرجاني .
٢٩- الباجا فاد جيتا (الكتاب الهندي المقدس).

٣٠- كامل سعفان: موسوعة الأديان (معتقدات آسيوية) ط دار الندي، ط١، عام ١٩٩٩م .

٣١- روبرت آرمورا: آلهة مصر القديمة وأساطيرها، ت: مروة الفقي، المجلس الأعلى للثقافة، عام٢٠٠٥م.

٣٢- فراس السواح،موسوعة تاريخ الديان.

٣٣- أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات، مؤسسة الرسالة، ط٢، عام١٩٩٨م.

٣٤- مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ،إشراف مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط٣ .

٣٥- مارسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط١، ١٩٨٦م .

٣٦- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ، ت : عبد السلام هارون ، دار الفكر، ١٩٧٩م .

٣٧- ماكس شابيرو- رودا هنديكيس، معجم الأساطير، ت حنا عبود، دار علاء ط٣، عام ٢٠٠٨م .

٣٨- كارم محمود عزيز، أساطير العالم القديم، ط ١، مكتبة النافذة، ٢٠٠٧م، ص٦٥وص٦٦وص ٢٠٩بتصرف شديد.

٣٩- أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ط١٩٦٧م .

٤٠- قدري قلعجي، أساطير الأمم، مكتبة الطالب، دار المكشوف، ط١، ١٩٤١م

٤١- هنري فرانكفورت، فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ت ميخائيل خوري، بدون ط .

٤٢- فيليب سيرنج، الرموز في الفن والأديان والحياة، ت عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط١، عام ١٩٩٢م .